الشيخ الهندي

كامل كيلاني



الشَّيْخ الهِنْدِي

الشَّيْخ الهِنْدِي

تأليف
كامل كيلاني



الشَّيْخ الهِنْدِي

كامل كيلاني

رقم إيداع ٢٠١٢ / ١٦٤١٠
تدمك: ٤ ٠١١ ٧١٩ ٩٧٧ ٩٧٨

مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة

٥٤ عمارات الفتح، حي السفارات، مدينة نصر ١١٤٧١، القاهرة
جمهورية مصر العربية
تليفون: ٢٢٧٠٦٣٥٢ ٢٠٢ + **فاكس:** ٣٥٣٦٥٨٥٣ ٢٠٢ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

المحتويات

تمهِيد

(١) بِـلادُ الهِـنْدِ

أَيُّها الطِّفْلُ الصَّغِيرُ:

هَلْ رَأَيتَ بِلادَ الْهِنْدِ!

إِنْ كُنْتَ لَمْ تَرَ بِلادَ الْهِنْدِ، فَلا شَكَّ فِي أَنَّكَ رَأَيتَ بَعْضَ أَهْلِها. ورُبَّما سَمِعْتَ بِهذِهِ الْبِلادِ الْوَاسِعَةِ مِنْ بَعْضِ الْمُدَرِّسِينَ فِي مَدْرَسَتِكَ، أَوْ قَرَأْتَ شَيْئًا مِنْ أَخْبارِ الْهِنْدِ وعجائِبِها في الْكُتُبِ الْجُغْرافِيَّةِ.

(٢) حَيَوان الْهِنْدِ

ولَعَلَّك عَرَفتَ — مِمَّا سَمِعْتَه أَوْ قَرَأْتَه — أَنَّ الْهِنْدَ تَحْتَوِي كَثِيْرًا مِنَ الأَهْلِينَ، والْمُدُنِ، والْقُرَى، والْجِبالِ، والأَنْهارِ، والْغاباتِ. كَما تَحْتَوِي عَدَدًا لا يُحْصَى (لا يُعْرَفُ مِقْدارُهُ) مِنَ الأَفْيالِ والنُّمُورِ والْقُرُودِ والتَّماسِيحِ وَبَناتِ آوَى، وطَوائِفَ مِنَ الْكَرْكَدَّنِ (وَحِيدِ الْقَرْنِ) والثَّعابِينِ، مِمَّا تَشْهَدُهُ في حَدِيقَةِ الْحَيَوانِ.

(٣) نَباتُ الْهِنْدِ

وأشْجارُ الْهِنْدِ وسَائِرُ نَباتِها كَثِيرٌ لا يُسْتَقْصَى (لا تُدْرَكُ نِهايَتُهُ) مِنْ ذلِكَ شَجَرُ النَّارَجِيلِ (الْجَوْزُ الْهِنْدِيُّ)، وخَشبُ الصَّنْدَلِ: وَهُوَ طَيِّبُ الرَّائِحَةِ، يُشْبِهُ — في شَكْلِه — النَّارَجِيلَ، وَخَشبُ السَّاجِ: وَشَجَراتُهُ عَظِيمَةُ الْحَجْمِ، هَائِلَةُ الضَّخامَةِ. وَهذَا الْخَشَبُ أَسْوَدُ، مَتِينُ التَّرْكِيبِ، لا تَكادُ الأَرْضُ تُبْلِيهِ (تُفْسِدُهُ) لِصَلابَتِهِ (شِدَّتِهِ). وَهُناكَ قَصَبُ السُّكَّرِ، وَشُجَيْراتُ الْبُنِّ، والشَّايِ، وَالْقُطْنِ، وَالْقِنَّبِ الَّذِي تُنْسَجُ مِنْهُ الزَّكائِبُ، وهو: نباتٌ تُصْنَعُ من قِشْرِهِ الْحِبالُ.

(٤) مَدِينَةُ «بَنَارِسَ»

وفِي الْهِنْدِ لُغاتٌ مُخْتَلِفَةٌ، ودِياناتٌ شَتَّى، وَبِلادٌ واسِعَةٌ، حافِلَةٌ بِالْمَساجِدِ والْمَتاحِفِ وبدائِع الآثَارِ. وقدِ اشْتَهَرَتْ مَدِينَةُ «بَنَارِسَ» — مِنْ بَيْنِ تِلْكَ الْبُلْدانِ — بِما تَحوِيهِ مِنَ الْمَعابِدِ والْهَياكِلِ (أَماكِنِ الْعِبادَةِ وَالأَبْنِيَةِ الدِّينِيَّةِ) الَّتِي تُعَدُّ بِالْمِئَاتِ.

وَهذِهِ الْمَدِينَةُ تُقَدِّسُها طائِفَةٌ عظيمَةٌ مِنْ سُكَّانِ الْهِنْدِ، يُطْلَقُ عَلَيْهِمُ اسْمُ «الْهِنْدُوسِ»، يَقْصِدُونَ إِلَيْها، وَيَسْتَحِمُّونَ فِي نَهْرِ «الكَنْج» الْمَشْهُورِ فِيها. وَهُمْ يَحُجُّونَ (يَقْصِدونَ) إِلَيْها كُلَّ عامٍ مِنْ أَنْحاءِ الْهِنْدِ، كَما يَحُجُّ الْمُسلِمونَ إِلَى «مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ» و«الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ».

وَجَمْعٌ مِنَ الْمُسْلِمِين يَذْهَبُونَ إِلَى مَدِينَةِ «بَنَارِسَ» لِرُؤْيَةِ ما تَحْوِيهِ مِنْ بَدائِعِ الآثَارِ، وعَجائِبِ الدُّنْيا.



أَسْـئِلَة

(س١) هَلْ رَأَيْتَ بِلاد الْهِنْدِ؟

(س٢) هَلْ سَمِعْتَ بِها؟

(س٣) هَلْ رَأَيْتَ أَحَدًا مِنْ أَهْلِها؟

(س٤) هَلْ قَرَأْتَ شَيْئًا عَنْها في الْكُتُبِ الْجُغْرافِيَّةِ؟

(س٥) ماذَا تَمْتَازُ بِهِ بِلادُ الْهِنْدِ؟

(س٦) فِي أَيِّ بَلَدٍ تَعيشُ؟

(س٧) هَلْ زُرْتَ حَديقَةَ الْحَيَوانِ؟

(س٨) ماذا رَأَيْتَ فِيها مِنْ أَنْواعِ الْحَيَوانِ الَّذي يَكْثُرُ في بِلادِ الْهِنْدِ؟

(س٩) ماذا تَعْرِفُ مِنْ نَباتاتِ بِلادِ الْهِنْدِ؟

(س١٠) ماذا تَعْرِفُ مِنْ نَباتاتِ بِلادِكَ؟

(س١١) أَيْنَ يَنْبُتُ شَجَرُ النَّارَجيلِ؟

(س١٢) هَلْ رَأَيْتَ خَشَبَ الصَّنْدَلِ؟

(س١٣) هَلْ سَمِعْتَ بِهِ؟

(س١٤) أَيْنَ يُوجَدُ؟
(س١٥) أَيُّ الرَّوائحِ تَنْبَعِثُ مِنْهُ؟
(س١٦) بِماذا يَمْتازُ خَشَبُ السَّاجِ؟
(س١٧) مَا لَوْنُهُ؟
(س١٨) ماذا تَعْرِفُ عَنْ شَجَرَاتِهِ؟
(س١٩) ما الْقِنَّبُ؟
(س٢٠) ماذا يُصْنَعُ بِقِشْرِهِ؟
(س٢١) هَلْ تَعْرِفُ مَدينَةَ «بَنَارِسَ»؟
(س٢٢) هَلْ سَمِعْتَ بِهذِهِ الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ مِنْ قَبْلُ؟
(س٢٣) أَيْنَ تُوجَدُ هذِهِ الْمَدينَةُ؟
(س٢٤) ماذا تَعْرِفُ عَنْها؟
(س٢٥) هَلْ رَأَيْتَ مُتْحَفًا مِنَ المَتاحِفِ؟
(س٢٦) ما الْهَياكِلُ؟
(س٢٧) ماذا رَأَيْتَ مِنْ آثَارِ بِلادِكَ؟
(س٢٨) ما اسمُ الَّذينَ يُقَدِّسُونَ مَدينَةَ «بَنَارِسَ»؟
(س٢٩) ماذا يَعْمَلُونَ هُناكَ؟
(س٣٠) هَلْ يَتَكَلَّمُ أَهْلُ الْهِنْدِ لُغَةً واحِدَةً؟
(س٣١) هَلْ يَدِينُونَ بِدِينٍ وَاحِدٍ؟

الفصل الأول

(١) «سادُودانا»

وَقَدْ عاشَ فِي قَدِيمِ الزَّمانِ شَيْخٌ هِنْدِكِيٌّ — مِنْ شُيُوخِ الْهِنْدِ — اسْمُهُ «سادُودانا». وَكانَ مَعْرُوفًا بَيْنَ أَصْحابِهِ الْهَنادِكِ (رِجالِ الْهِنْدِ) بِحِدَّةِ الذَّكاءِ (قُوَّتِهِ)، وَرَجاحَةِ الْعَقْلِ (عِظَمِهِ واتِّزَانِهِ).

وقدِ اعْتَزَمَ الشَّيْخُ «سادُودانا» أَنْ يُسافِرَ إِلَى مَدِينَةِ «بَنَارِسَ» لِزِيارَةِ بَعْضِ أَقَارِبِهِ.

(٢) النَّمِرُ السَّجِينُ

وسار الشَّيْخُ «سادُودانا» في طَرِيقِهِ إِلَى تِلْكَ الْمَدِينَةِ، حتَّى أَصْبَحَ عَلَى مَسَافَةٍ يَسِيرَةٍ (قَصِيرَةٍ) منْها، فَسَمِعَ صَوْتًا عالِيًا، كأَنَّهُ صَوْتُ الرَّعْدِ، فَأَدْرَكَ الشَّيْخُ أَنَّ هذا الصَّوْتَ الْمُخِيفَ هُوَ صَوْتُ نَمِرٍ مُتَأَلِّمٍ مَحْزُونٍ.

واقْتَرَبَ مِنْ مَصْدَرِ الصَّوْتِ، فَرَأَى قَفَصًا كَبِيرًا، قُضْبانُهُ مِنَ الْحَدِيدِ. ورَأَى فِي ذلِكَ الْقَفَصِ الْكَبِيرِ نَمِرًا كَبِيرًا مَسْجُونًا فِيهِ.

(٣) رَجاءُ النَّمِرِ

فَلَمَّا رَآهُ النَّمِرُ تَوَسَّلَ إِلَيْهِ أَنْ يُنْقِذَهُ مِنْ سِجْنِهِ، وَقَالَ لَهُ مُسْتَغِيثًا: «أَيُّها الشَّيْخُ الْجَلِيلُ أَشْفِقْ عَلَيَّ، وَامْنُنْ بِتَخْلِيصي (قَدِّمْ إِلَيَّ مِنَّةً وَجَمِيلًا بِإِنْقَاذِي) مِنْ هذا السِّجْنِ الَّذِي آذانِي، وَأَضْعَفَ جِسْمِي، وهَدَّ كِيانِي!

أَضْرَعُ (أَتَذَلَّلُ وَأَرْجُو) إِلَيْكَ — يا سَيِّدِي — أَنْ تُخْرِجَنِي مِنْ هذا الْقَفَصِ، فَقَدْ كادَ الْعَطَشُ يُهْلِكُنِي، ولكَ عَلَيَّ عَهْدٌ ومِيثاقٌ أَنْ أَعُودَ إِلَى قَفَصِي فِي الْحالِ، بَعْدَ أَنْ أَشْرَبَ قَلِيلًا مِنَ الْماءِ، لأُرْوِيَ بِهِ ظَمَئِي.»

(٤) مُحاوَرَةُ النَّمِرِ وَالشَّيْخِ

فَقالَ الشَّيْخُ «سادُودانا»: «كَلَّا — يا «أَبا رَقَاشٍ» — كَلَّا لا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقْبَلَ رجاءَكَ، يا سَيِّدِي النَّمِرَ؛ لِأَنَّنِي لَوْ أَطْلَقْتُ سَرَاحَك (لَوْ أَخْرَجْتُكَ مِنْ مَحْبَسِكَ) لَعَرَّضْتُ نَفْسِي لِلْهَلاكِ، وكانَ أَوَّلَ ما تَفْعَلُهُ مَعِي هُوَ أَن تَأْكُلَنِي فِي الْحالِ.»

فَقالَ النَّمِرُ: «اطْمَئِنَّ — يا سَيِّدِي الشَّيْخَ الرَّحِيمَ — فَلَنْ أَضُرَّك، وَلَنْ أُفَكِّرَ فِي إِيذائِكَ أَبَدًا، بَلْ أنا أَشْكُرُ لَكَ صَنِيعَكَ (مَعْرُوفَك)، وَلا أَنْسَاهُ لَكَ طُولَ عُمْرِي، فلا تَتَرَدَّدْ فِي الْإِحْسانِ إِلَيَّ — يا أَخا الإِنْسِ — فَلَنْ يَضِيعَ جَمِيلُكَ سُدًى (لَنْ يَذْهَبَ بِلا تَقْدِيرٍ وَلا عِرْفَانٍ).»

أَسْـئِلَةٌ

(س١) هَلْ تَعْرِفُ الشَّيْخَ الْهِنْدِيَّ؟

(س٢) ما اسْمُهُ؟ ما مَزَاياهُ؟

(س٣) مَنِ الهَنادِكُ؟

(س٤) مَنْ هُوَ «سادُودانا»؟

(س٥) ما اسْمُ الطَّائِفَةِ الَّتِي يَنْتَسِبُ إِلَيْها؟

(س٦) إِلَى أَيْنَ سافَرَ؟

(س٧) ماذا سَمِعَ فِي طَرِيقِهِ؟

(س٨) ماذا رأَى حِينَ اقتَرَب مِنَ الصَّوْتِ؟

(س٩) مَنْ «أَبُو رَقَاشٍ»؟

(س١٠) ماذا قالَ النَّمِرُ لِلشَّيْخِ الْهِنْدِيِّ؟

(س١١) ماذا قالَ الشَّيْخُ لِلنَّمِرِ؟

(س١٢) لِماذا أَبَى أَنْ يُطْلِقه مِنْ سِجْنِهِ؟
(س١٣) بِماذا رَدَّ النَّمِرُ عَلَى الشَّيْخِ؟

الفصل الثاني

(١) جَزاءُ الْإِحْسانِ

وَلَمَّا سَمِعَ الشَّيْخُ «سادُودانا» كَلامَ النَّمِرِ انْخَدَعَ بِهِ، وَأَشْفَقَ عَلَيْهِ؛ فَفَتَحَ بابَ الْقَفَصِ. وَما انْفَتَحَ الْبابُ للنَّمِرِ، حَتَّى أَسْرَعَ «أَبُو رَقَاشٍ» بِالْخُرُوجِ مِنَ الْقَفَصِ، وَقَدْ فَرِحَ بِخَلاصِهِ مِنْ سِجْنِهِ فَرِحًا شَديدًا.

وكانَ أَوَّلَ ما فَعَلَهُ النَّمِرُ — بَعْدَ انْطِلاقِهِ مِنْ أَسْرِهِ — أَنِ الْتَفَتَ إلى «سادُودانا» وَقَالَ لَهُ: «الآنَ أَبْدَأُ بأَكْلِكَ، ثُمَّ أَشْرَبُ بَعْدَ ذلك.»

وحاوَلَ الشَّيْخُ أَنْ يَثْنِيَهُ (يَرُدَّهُ) عَنْ عَزْمِهِ فَلَمْ يُفْلِحْ.

(٢) رَجاءُ الشَّيْخِ

فلمَّا يَئِسَ مِنْ ذلك قالَ لَهُ مُتَوَسِّلًا: «أَرْجُو أَلَّا تُسْرِعَ بِقَتْلِي — يا «أَبا رَقَاشٍ» — قَبْلَ أَنْ تَسْتَشِيرَ في أَمْرِي سِتَّةً مِمَّنْ نَلْقاهُم في طَرِيقِنا مِن الْمَخْلُوقاتِ، فإذا حَسَّنُوا لَكَ أَنْ تَأْكُلَنِي — بَعْدَ ما أَسْدَيْتُهُ إِلَيْكَ مِنْ جَمِيلٍ — فَلَنْ تَخْسَرَ شَيْئًا. وَحِيْنَئِذٍ أَمُوتُ غَيْرَ آسِفٍ عَلَى شَيْءٍ في هذهِ الدُّنْيا.»

(٣) شَجَرَةُ التِّينِ

فَقالَ النَّمِرُ: «أَحْسَنْتَ فِيما قُلْتَ، وَقَدْ أَجَبْتُكَ إِلَى ما تَطْلُبُ، فَلْنَسْأَلْ أَوَّلَ الْمُسْتَشارِينَ السِّتَّةِ.»

ثُمَّ سارا في طَرِيقِهِما، حَتَّى بَلَغا شَجَرةً مِنَ أَشْجارِ التِّينِ. فقالَ لها الْهِنْدِيُّ: «يا «أُمَّ الْبَلَسِ» يا شَجَرَةَ التِّينِ، اسْمَعِي لِمَا أَقُولُ، واحكُمِي بَيْنَنا بِالْعَدْلِ.»

فقالَتْ شَجَرَةُ التِّينِ: «ماذا تَطْلُبانِ مِنِّي؟ وَفِي أَيِّ قَضِيَّةٍ حَكَّمْتُمانِي (جَعَلْتُمانِي حَكَمًا وَقاضِيًا؟»

فَقالَ الشَّيخُ الْهنديُّ: «يا «أُمَّ الْبَلَسِ»، إِنَّ هذا النَّمِرَ — الَّذِي تَنْظُرِينَ — قَدْ تَوسَّلَ إِلَيَّ أَنْ أُطْلِقَ سَرَاحَهُ مِنْ قَفَصِهِ، لِيَشْرَبَ قَلِيلًا مِنَ الْماءِ، ثُمَّ يَعُودَ إِلَى قَفَصِهِ ثانِيَةً. وَقَدْ وَعَدَنِي أَلَّا يُؤْذِيَني، وَلَكِنَّهُ الآنَ بَعْدَ أَنْ أَطْلَقْتُ سَرَاحَهُ، أَرادَ أَنْ يَأكُلَنِي، فَهلْ يُعْجِبُكِ ذلكِ يا «أُمَّ الْبَلَسَ»؟ وَهَلْ تَرْضَيْنَ عَنْ صَنِيعِهِ؟»

(٤) حُكْمُ الْمُسْتَشارِ الْأَوَّلِ

فأَجابَتْهُ شَجَرَةُ التِّينِ: «إِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ يَجِيئُونَ إِلَيَّ، لِيَسْتَظِلُّوا بِأَغْصانِي؛ فإِذا اسْتراحُوا مِنْ تَعَبِهم، فَماذا يَصْنَعُونَ؟

إِنَّهُمْ يَتَسَلَّقُونَ (يَصْعَدُونَ) أَغْصَانِي، وَيَكْسِرُونَها، وَيَغْتَصِبُونَ وَرَقِي، وَيَنْتَهِبُونَ ثَمَراتي، وَلا يَتْرُكُونَ بَلَسَةً (تِينَةً) واحِدَةً، جَزاءَ ما أَحْسَنْتُ إِلَيْهِمْ. وَكَذلِكَ يَصْنَعُونَ بِأَتْرَابِي مِنْ بَناتِ الضَّرِفِ (هكَذا يَفْعَلونَ بِمَنْ وُلِدَ مَعِيَ مِنْ شَجَرِ التِّينِ).

والرَّأْيُ عِنْدِي أَنْ يَأْكُلَكَ النَّمِرُ؛ لِأَنَّ الرِّجالَ — مِنْ أَمْثالِكَ — جنْسٌ لا يُثْمِرُ فيهِ الْمَعْرُوفُ.»

(٥) حُكْم الْجَمَل

وَبَعْدَ أَنْ سارا قَلِيلًا قَابَلا جَمَلًا، فَقالَ الشَّيْخُ الْهِنْدِيُّ: «يا «أَبا أَيُّوبَ»، أَنْصِتْ إِلَى ما أَقُولُ، وَاحْكُمْ فِي قَضِيَّتِنا بِما تَشاءُ.»

فَقالَ الْجَمَلُ: «فِي أَيِّ قَضِيَّةٍ أَحْكُمُ؟»

فَقَصَّ عَلَيْهِ الشَّيْخُ الْهِنْدِيُّ كلَّ ما حَدَث، ثُمَّ قَالَ لَهُ: «فَهَلْ يَصِحُّ لَهُ أَنْ يَقْتُلَنِي بَعْدَ ذلِكَ، يا سَيِّدِي الْجَمَلَ؟»

فَأَجابَهُ الْجَمَل: «حِينَ كُنْتُ فِي شَبابِي وَاكْتِمالِ قُوَّتي، وكُنْتُ أَسْتَطِيعُ حَمْلَ الْأَثْقالِ، كانَ صاحِبِي يُحِبُّنِي وَيُكْرِمُنِي، وَلا يَبْخَلُ عَلَيَّ بَأَحْسَنِ ما لَدَيْهِ مِنَ الْغِذاءِ. أَمَّا الآنَ — وَقَدْ أَصْبَحْتُ فِي شَيْخُوخَتِي وَضَعْفِي — فَإِنَّهُ يَضْرِبُنِي بِلا رَحْمَةٍ، وَيُحَمِّلُنِي ما لا أُطِيقُ، وَلا يَذْكُرُ ما أَسْلَفْتُ (ما قَدَّمْتُ) إِلَيْهِ مِنْ جَمِيلٍ. وَالرَّأْيُ عِندي أَن أَترُكَ النَّمِرَ يَأْكُلُكَ أَيُّها الرَّجُلُ.»

(٦) حُكْمُ الثَّوْرِ

وَسارَ الشَّيْخُ وَالنَّمِرُ فِي طَرِيقِهِما. وَما زالا سائِرَيْنِ حَتَّى قَابَلا ثَوْرًا راقِدًا فِي الطَّرِيقِ، وَكانَ ذلِكَ الثَّوْرُ يُدْعَى: «أَبا زَرْعَةَ»، فَسَأَلَهُ «سادُودانا» أن يَحْكُمَ فِي قَضِيَّتِهِ.

فَلَمَّا سَمِعَ الثَّوْرُ قِصَّتَهُ قالَ: «حِينَ كُنْتُ فِي صِباىَ، كانَ صاحِبِي يُخْلِصُ لِي، وَيُعْنَى (يَهْتَمُّ) بِراحَتِي الْعِنايَةَ كُلَّها. أَمَّا الآنَ — وَقَدْ بَلَغْتُ سِنَّ الشَّيْخُوخَةِ، وَأَصْبَحْتُ عاجِزًا عَنِ الْحَرَكَةِ — فَقَدْ نَسِيَ كُلَّ ما قَدَّمْتُهُ لَهُ مِنْ خَيْرٍ، وَكافأَنِي عَلَى ذلِكَ بِأَنْ أَهْمَلَنِي، وَتَرَكَنِي أَقْضِي بَقِيَّةَ أَيَّامِي فِي هذا الْمَكانِ الْمُقْفِرِ (الْخَالِي)، حَيْثُ أَمُوتُ ساخِطًا عَلَيْهِ، وَعَلَى جِنْسِهِ الآدَمِيِّ كُلِّهِ.

وَالرَّأْيُ عِنْدِي أَنْ يَأْكُلَكَ النَّمِرُ، لِأَنَّكُمْ — مَعْشَرَ النَّاسِ — قُساةٌ (غِلاظُ الْقُلُوبِ) مُتَجَبِّرُونَ، لا تَرْحَمُونَ.»

(٧) بَيْنَ الشَّيْخِ والنَّمِر

وَحِينَئِذٍ وَقَفَ النَّمِرُ، وَقَدْ تَحَلَّبَ لُعابُهُ (جَرَى رِيقُهُ)؛ فَأَدْرَكَ الشَّيْخُ ما يَدُورُ بِخاطِرِ النَّمِرُ حِينَ رَآهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَيَتَلَمَّظُ (يُخْرِجُ لِسانَهُ وَيَمْسَحُ بِهِ شَفَتَيْهِ)، وَأَيْقَنَ الشَّيْخُ بِالْهَلاكِ حِينَ قالَ لَهُ النَّمْرُ: «لَقَدْ سَمِعْتَ — يا صاحِبِي — كُلَّ ما قالَهُ الْمُسْتَشارُونَ فِي أَمْرِكَ، وَرَأَيْتَ كَيْفَ أَجْمَعُوا (اتَّفَقُوا) عَلَى ذَمِّكَ، وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ كَلِمَةً يَمْتَدِحُكَ بِها. وَما أَظُنُّ أَحَدًا يَشْفَعُ لَكَ — أيها الْأَنِيسُ — أَوْ يَرْضَى عَنْ جِنْسِكَ الآدَمِيِّ الْغادِرِ.»

فقالَ «سادُودانا»: «لَقَدِ اتَّفَقْنا — يا سَيِّدِي «أَبا رَقاشِ» — عَلَى أَنْ نَسْتَشِيرَ سِتَّةً مِمَّنْ نَلْقاهُمْ، وَلَمْ نَسْأَلْ غَيْرَ ثَلاثَةٍ مِنْهُمْ.»

فقالَ النَّمِرُ: «لَكَ ما تُرِيدُ يا صاحِبِي.»

(٨) رَأْيُ النَّسْرِ

ثمَّ سارا فِي طَرِيقِهِما صامِتَيْنِ (ساكِتَيْنِ)، وَقَدِ امْتَلَأَ قَلْبُ الْهِنْدِيِّ حُزْنًا، وَهُوَ سائِرٌ بِجِوارِ النَّمِرِ. ثُمَّ رَأَيا نَسْرًا يَطِيرُ، فَناداهُ الشَّيْخُ الْهِنْدِيُّ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: «تَعالَ يا «أَبا الْهَيْثَمِ» هَلُمَّ إِلَيْنا (أَقْبِلْ عَلَيْنا)، أَيُّها النَّسْرُ الْعظيمُ الطَّائِرُ فِي السَّماءِ، الْمُحَلِّقُ (الَّذِي يَدُورُ) فِي الْفَضاءِ. اهْبِطْ مِنَ الْجَوِّ إِلَى الأَرْضِ، وَأَسْعِفْ رَجاءَنا، وَاحْكُمْ فِي قَضِيَّتِنا.»

فقالَ النَّسْرُ: «فِيمَ أَحْكُمُ؟»

فَأَخْبَرَهُ الشَّيْخُ «سادُودانا» بِقِصَّتِه، ثُمَّ قالَ: «أَيَحْسُنُ بِهِ أَنْ يَقْتُلَنِي — يا «أَبا الْهَيْثَمِ» — بَعْدَ أَنْ رَحِمْتُهُ وَأَشْفَقْت عَلَيْهِ؟»

فقالَ لَهُ النَّسْرُ: «إِنَّ النَّاسَ كُلَّما رَأَوْنِي بَذَلُوا جُهودَهم فِي أَنْ يَصْطادُونِي، بَلْ إِنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَتَسَلَّقُ الصُّخُورِ لِيَسْرِقَ أَبنائِي مِن عُشِّها. وَالرَّأْيُ عِنْدِي أَنَّ النَّمِرَ جَدِيرٌ (مُسْتَحِقٌّ) أَنْ يَأْكُلَكَ — أَيُّها الرَّجُلُ — لِأَنَّ الرِّجالَ قُساةٌ، لا تَعْرِفُ الرَّحْمَةُ إِلَى قُلُوبِهِمْ سَبِيْلًا.»

(٩) رَأْيُ التمْساحِ

ثمَّ الْتَقَيا التِّمْساحَ في طريقِهِما خارِجًا مِنَ الْيَمِّ (الْمَاءِ)، فَناداهُ الشَّيْخُ الْهِنْدِيُّ، وَقَصَّ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ كُلَّها، ثُمَّ خَتَمَها قائِلًا: «فَكَيْفَ تَرَى — يا «حارِس الْيَمِّ» — وَبِماذا تَحْكُمُ؟»

فقالَ التِّمْساحُ: «إِنَّنِي كُلَّما رَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى سَطْحِ الماءِ، أَسْرَعَ النَّاسُ إِلَيَّ يُطارِدُونَنِي، ويُحاولُونَ قَتْلِي لِغَيْرِ سَبَبٍ.

وَعِنْدِي أَنَّ النَّمِرَ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَأْكُلَكَ — يا رجُلُ — لِأَنَّ الرِّجالَ ما داموا أَحْياءً عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَلَنْ نَظْفَرَ بِالرَّاحَةِ أَبَدًا.»



أَسْئِلَة

(س١) هَلِ انْخَدَعَ الشَّيْخُ بِكَلامِ النَّمِرِ؟

(س٢) ماذا فَعَلَ النمِرُ حِينَ انْطَلَقَ؟

(س٣) لِماذا أَرادَ أَنْ يَأْكُلَ الشَّيْخَ؟

(س٤) ماذا قالَ الشَّيْخُ لِلنَّمِرِ؟

(س٥) هَلْ وَافَقَ النَّمِرُ عَلَىَ اسْتِشارَةِ سِتَّةٍ مِنَ الْمَخْلُوقاتِ؟

(س٦) مَنْ «أُمُّ الْبَلَسِ»؟

(س٧) لِماذا سُمِّيَتْ كَذلِكَ؟

(س٨) بِماذا حَكَمَتْ شَجَرَةُ التِّينِ؟

(س٩) لماذا حَكَمَتْ بِأَنْ يَأْكُلَ النَّمِرُ الشَّيْخَ الْهِنْدِيَّ؟

(س١٠) مَنِ الْمُسْتَشَارُ الثَّاني؟

(س١١) مَن «أَبُو أَيُّوبَ»؟

(س١٢) بِماذا حَكَمَ الْجَمَلُ؟

(س١٣) لِماذا وافَقَ الْجَمَلُ عَلَىَ أَكْلِ الشَّيْخِ الْهِنْدِيِّ؟

(س١٤) ماذا قالَ لِلشَّيْخِ الْهِنْدِيِّ؟

(س١٥) لِماذا تَحَلَّبَ لُعابُه؟

(س١٦) ما مَعْنَى: يَتلَمَّظُ؟

(س١٧) بِماذا رَدَّ عَلَيْهِ الشَّيْخُ الْهِنْدِيُّ؟

(س١٨) مَنِ الْمُسْتَشَارُ الرَّابِعُ؟

(س١٩) هَلْ رَأَيْتَ النَّسْرِ؟

(س٢٠) ماذا قالَ النَّسْرُ فِي قَضِيَّةِ الشَّيْخِ الْهِنْدِيِّ؟

(س٢١) لِماذا كانَ صاحِبُ الْجَمَلِ يُكْرِمُهُ؟

(س٢٢) كَيْفَ انْقَلَبَ عَلَيْهِ وَصارَ يَضْرِبُهُ؟

(س٢٣) هَلْ تُقِرُّ تَعْذِيبَ الْحَيَوانِ؟

(س٢٤) لِماذا لا تُوَافِقُ عَلَى الْإِساءَةِ إِلَيْهِ؟

(س٢٥) هَلْ تَعْرِفُ جَمْعِيَّةَ الرِّفْقِ بِالْحَيَوانِ؟

(س٢٦) مَنِ الْمُسْتَشارُ الثَّالِثُ؟

(س٢٧) مَنْ «أَبُو زَرْعَةَ»؟

(س٢٨) هَلْ رَأَيْتَ الثَّوْرَ؟

(س٢٩) ما فائِدَتُهُ لِلْفَلَّاحِ؟

(س٣٠) بِماذا حَكَمَ فِي قَضِيَّةِ الشَّيْخِ الْهِنْدِيِّ؟

(س٣١) ما حُجَّتُهُ الَّتي احْتَجَّ بِها عَلَى الشَّيْخِ الْهِنْدِيِّ؟

(س٣٢) ماذا قالَ الثَّورُ عَنِ مَعْشَرِ النَّاسِ؟

(س٣٣) كَيْفَ كانَ مَوْقِفُ النمِرِ حِينَ سَمِع رَأْيَ الْمُسْتَشارين الثَّلاثَةِ؟

(س٣٤) لِماذا يَكْرَهُ النَّسْرُ الْجِنْسَ الآدَمِيَّ؟

(س٣٥) مَنْ «حارِسُ الْيَمِّ»؟

(س٣٦) هَلْ تَعْرِفُ التِّمْساحَ؟ أَيْنَ يَعِيشُ؟

(س٣٧) هَلْ تَذْكُرُ حُكْمَ التِّمْساحِ في قَضِيَّةِ الْهِنْدِيِّ؟

(س٣٨) لِماذا هُوَ ثَائِرٌ عَلَى الْإِنْسَانِ؟

الفصل الثالث

(١) ابْنُ آوَى

فقالَ الشَّيْخُ فِي نَفْسِهِ: «لَمْ يَبْقَ لِي أَمَلٌ في النَّجاةِ مِنَ الهَلاكِ — بَعْدَ الْيَوْمِ — وما أَظُنُّ أَحَدًا سَيَقُولُ فِيَّ خَيْرًا.»

عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَيْأَسْ، والْتَمَسَ مِنَ النَّمرِ أَنْ يَصْبِرَ عَلَيْهِ حتَّى يَلْقَيَا الْمُسْتَشارَ السَّادِسَ. فَلَم يُمانِعْ في ذلِكَ.

وَلَمَّا سارا خُطُواتٍ قَلِيلَةً وَجَدا — فِي الطَّرِيقِ — ابْنَ آوَى؛ فَقَصَّ عَلَيْهِ الشَّيْخُ الْهِنْدِيُّ قِصَّتَهُ مع النَّمرِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: «فَماذا تَرى، يا سَيِّدِي؟ وَأَيُّنا على حَقٍّ يا «أَبا وائِلٍ»؟»

فَقال ابْنُ آوَى: «لا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَحْكُمَ فِي هذِهِ القَضِيَّةِ قَبْلَ أَنْ أَرَى المَكانَ الَّذِي وَقَعَتْ فِيهِ حَوادِثُها. لا بُدَّ مِنَ التَّثَبُّتِ والرَّوِية (التَّمَهُّلِ فِي التَّفْكِيرِ) قَبْلَ أَنْ أُصْدِرَ حُكْمي؛ حَتَّى لا أَظْلِمَ أَحَدًا مِنْكُما.»

(٢) تَحْقِيقُ الدَّعْوَى

فَعادَ النَّمرُ والشَّيْخُ الْهِنْدِيُّ إِلَى الْقَفَصِ — وَمَعَهُما ابْنُ آوَى — فَلَمَّا بَلَغُوه، قالَ ابْنُ آوى: «الآنَ خَبِّرْنِي — أَيُّها الشَّيْخُ الْهِنْدِيُّ — أَوَقَعَتْ هُنا قِصَّتُكُما؟»

فَقالَ لَهُ: «نَعَمْ، يا سَيِّدِي «أَبا وَائِلٍ».»

فقالَ ابْنُ آوَى: «فَأَيْنَ الْمَكانُ الَّذِي كُنْتَ وَاقِفًا فِيهِ بِالضَّبْطِ؟»

فَوَقَفَ الشَّيْخُ أَمامَ الْقَفَصِ، وقالَ لَهُ: «هُنا يا سَيِّدِي الْقاضِي!»

فقالَ ابْنُ آوَى: «فَأَيْنَ كانَ النَّمرُ حِينَئِذٍ؟»

فَقَالَ النَّمِرُ: «كُنْتُ في الْقَفَصِ.»

(٣) الْعَوْدَةُ إِلَى الْقَفَصِ

فَقَالَ ابْنُ آوَى: «ماذا تَعْنِي (ماذا تَقْصِدُ)؟ كَيفَ كُنْتَ في الْقَفَصِ؟ وَإِلَى أَيِّ جِهَةٍ كُنْتَ تَنْظُرُ، يا «أَبا رَقاشِ»؟»

فقالَ النَّمِرُ: «كَيْفَ هذا؟ أَلا تَفْهَمُ ما أَقُولُ؟»

ثُمَّ قَفَزَ إِلَى الْقَفَصِ، وَقَالَ لَهُ: «هَكَذا كُنْتُ واقِفًا، يا «أَبا وائِلٍ»؛ رَأْسِي هُنا، وَذَيْلِي هُناكَ!»

فَقالَ ابْنُ آوَى: «شُكْرًا لَكَ يا سَيِّدِي.»



ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى الشَّيْخِ «سادُودانا» قائِلًا: «وَلَكِنْ خَبِّرْنِي، أَيُّها الْأَنِيسُ: أَكانَ الْقَفَصُ مَفْتُوحًا أَمْ مُقْفَلًا؟»

فَقالَ الشَّيْخُ: «كانَ مُقْفَلًا يا «أَبا وائِلٍ».»

فَقال ابْنُ آوَى لِلشَّيْخِ: «إِذَنْ، أَقْفِلِ الْبابَ، كَما كانَ.»

خاتِمَةُ الْقِصَّةِ

وَلَمَّا أَغْلَقَ الشَّيْخُ الْهِنْدِيُّ الْقَفَصَ الْتَفَتَ ابْنُ آوَى إِلَى النَّمِرِ وَقَالَ: «أَيُّها الْوَحْشُ اللَّئِيمُ الْجَاحِدُ (الْمُنْكِرُ لِلْجَمِيلِ) الَّذِي لا يَحْفَظُ الْعَهْدَ، وَلا يَشْكُرُ لِلْمَعْرُوْفِ، وَلا يُثْمِرُ فِيهِ الصَّنِيعُ: ما بالُكَ (ما شَأْنُكَ) تهُمُّ بِقَتْلِ هذا الشَّيْخِ الْهِنْدِيِّ الطَّيِّبِ، بَعْدَ أَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ، وَأَطْلَقَ سَرَاحَكَ مِنْ سِجْنِكَ؟ أَلَيْسَ لَدَيْكَ غَيْرُ الْقَتْلِ مِنْ جَزاءٍ تَجْزِيهِ بِهِ عَلَى إِحْسانِهِ؟ فَامْكُثْ فِي سِجْنِكَ بَقِيَّةَ حَياتِكَ، فلَنْ يُخْرِجَكَ مِنْهُ أَحَدٌ مَرَّةً أُخْرَى.»

ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى «سادُودانا» قَائِلًا: «وأَنْتَ أَيُّها الصَّديقُ الْهِنْدِيُّ الْكَرِيمُ: سِرْ في طَرِيقِكَ، وَلا تَصْنَعِ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ!»

فَشَكَرَ الْهِنْدِيُّ لابْنِ آوَى حِكْمَتَهُ وَذَكاءَهُ، ثُمَّ وَدَّعَهُ، وَسارَ فِي طَرِيقِهِ مُبْتَهِجًا مَحْبُورًا (فَرْحانًا مَسْرُورًا)، حَتَّى وَصَلَ إِلَى مَدِينَةِ «بَنَارِسَ».

أَسْـئِلَةٌ

(س١) مَنِ الْمُسْتَشَارُ السَّادِسُ؟

(س٢) مَنْ «أَبُو وائِلٍ»؟

(س٣) هَلْ سَمِعْتَ بِابْنِ آوَى أَوْ رَأَيْتَهُ؟

(س٤) ماذا تَعْلَمُ مِنْ أَخْلاقِهِ؟

(س٥) ماذا طَلَبَ ابْنُ آوَى قَبْلَ إِصْدَارِ حُكْمِهِ؟

(س٦) لِماذا عادَ بِالشَّيْخِ الْهِنْدِيِّ وَالنَّمِرِ إِلَى الْقَفَصِ؟

(س٧) هَلْ كانَ يُرِيدُ حَقًّا أَنْ يَشْهَدَ وَقَائِعَ الْحَادِثِ؟

(س٨) ماذا كانَ غَرَضُهُ مِنْ ذلِكَ؟

(س٩) ما حِيلَةُ ابْنِ آوَى لِلانْتقامِ مِنَ النَّمِرِ، وَتَخْلِيصِ الشَّيْخِ الْهِنْدِيِّ؟

(س١٠) ماذا قالَ ابْنُ آوَى لِلشَّيْخِ الْهِنْدِيِّ؟

(س١١) عِنْدَ مَنْ أَوْصاهُ أَنْ يَصْنَعَ الْمَعْرُوفَ؟